

اجتهادات أهى «ثورة محظورة»؟

من أهم الكتب التى صدرت بمناسبة الذكرى الخامسة لثورة 25 يناير كتاب محمد عبدالغفار الذى اختار له عنواناً مثيراً للجدل هو (ثورة محظورة النشر. 18 يوم شارع).

يستمد الكتاب أهميته من دلالة أن مؤلفه الذى كان طالباً جامعياً عند اندلاع الثورة هو واحد من أعداد غفيرة من الشباب غيرتهم هذه الثورة. فهو يقول عنها إنها (هى التى خلقت بداخلى شخصاً مختلفاً يفكر ويقرأ ويكتب ويملك رأياً وفكراً حراً).

وهو يشرح كيف كانت الثورة بداية مرحلة مختلفة فى حياته: (قبل الثورة لم أكن أعى شيئاً. فقد كنتُ هناك فى بلدتى الصغيرة حوش عيسى أعمل لأحصل على مصروفات الجامعة. وكنتُ أهاب الحرية، أو بالأحرى أهرب (من إحساس لذتها لأبرر لنفسى خوفاً من المطالبة بها).

وليت من أقاموا أسواراً عالية تفصلهم عن الأجيال الجديدة يدركون أن محمد عبدالغفار ليس إلا واحداً من أعداد كبيرة منهم تفتح وعيهم على ثورة 25 يناير، فلم يعرفوا معنى الخضوع، وأصبح لسان حال الواحد منهم هو: لا أريد العيش فى جلبات أبى.

ويتضمن الكتاب 25 مشهداً من قلب الثورة على مدار أيامها الثمانية عشر، ويجد القارئ فيها مصداقاً لما كتبه المؤلف في المقدمة، وهو أن من يقرأ هذا العمل سيعرف (كيف تحولت شخصيتي مع بدء اندلاع الثورة، وكيف قتلت الشخص القروى السلبي الذى لا تشغله سوى الدراسة والعمل (جنب الحيط).

وإذا كانت الثورة قد أحدثت كل هذا التغيير فيه، كما فى كثير من الشباب، ربما لا يكون وصفها بأنها «ثورة محظورة النشر» هو العنوان الأكثر ملاءمة، لأنه قد يوحى بغير ما نستخلصه من الكتاب، وعبر هو عنه عندما روى شعوره صباح 28 يناير 2011 بقوله (أنا متوتر للغاية، لكنى فخور بما أفعل. لقد استدعت الثورة طاقتى الإيجابية الدفينة، وقبلت ذلك (الاستدعاء).

وكثيرة هى المشاهد التى يرويها وتدل على أن هذه الثورة أحدثت تغييراً فى داخل أعداد كبيرة من المصريين، وخاصة أجيالهم الجديدة، وأن هذا التغيير سيؤدى إلى تحقيق ما حلموا به. فالتغيير الأصعب دائماً ذلك الذى يحدث للإنسان نفسه.

أما التعثر فى الطريق إلى هذا الحلم فهو من سمات كل الثورات الشعبية التلقائية التى لا تقف وراءها قيادة أو تنظيم، وتفتقد بالتالى الاستعداد لليوم التالى (12 فبراير 2011) الذى بدأ فيه هذا التعثر.